INTERNATIONAL FOUNDATION FOR TOLERANCE
BUILDING BRIDGES OF UNDERSTANDING

الهيئة الدولية للتسامح

دور الرياضة في تعزيز قيم التسامح بين جماهير العالم

إعداد

دكتور ادريس مغاري

خبير في الفكر والقيم الرياضية

driss.eps@hotmail.com

INTERNATIONAL FOUNDATION FOR TOLERANCE
BUILDING BRIDGES OF UNDERSTANDING

الهيئة الدولية للتسامح

دور الرياضة في تعزيز قيم التسامح بين جماهير العالم

مقدمة

أضحى التسامح اليوم خيارا استراتيجيا لتعزيز قيم الاعتراف والتعايش والسلام بين شعوب العالم، الأمر الذي حمل كل دول العالم على تفعيل قيم التسامح في مختلف المجالات والفضاءات، خاصة منها، تلك التي تستقطب جماهير من مختلف البقاع. وأكثر فضاء بحاجة أشد إلى التسامح ، هو فضاء الملاعب حيث الاختلاف في الميولات والأذواق والانتماءات. وهو اختلاف شديد الحساسية لأنه محكوم بدينامية انفعالية، مأتاها من الحماس المفرط الحاصل بين جماهير الفرق. ناهيك أن الملاعب، من أهم الملتقيات الثقافية على الإطلاق، فالاختلاف بين الجماهير في أعلى تجلياته، فهو حاصل في الجنس والدين واللغة والعادات والجغرافيا، والأشدّ من ذلك كله، أنه حاصل في طرق التعبير عن الفرح والغضب حيث الانفعال والحماس، وهذه الانفعالات يصعب في مواطن كثيرة إلجامها وإحكامها، مما ينتج عنها كثيرا من العنف والشغب. وهنا موضعُ الرهان والتحدي، إذ من الصعب إحلال التسامح بين الانفعالات المتباينة والمتضاربة مقارنة بإحلاله بين الأفكار والقناعات المختلفة. لكن هذه الصعوبة حاصلة حينما يكون الانفعال غير مسبوق بقيم مؤسسة له على النحو الذي يضمن عدم انفلاته، وهي قيم التسامح باعتبارها جامعة لقيم الاعتراف والاختلاف والقبول والتعدد، وهي قيم هاجسها الأساس، تدبير التنوعات والتباينات بهدف إحلال التعايش والسلام بين مختلف الجماهير. فالتسامح على خلاف غيره من القيم، يترك للمخالف مَساحات شاسعة للتعبير عن آرائه وحماسه وانتماءاته دون إكراه وعنف. وهو تسامح ليس مبناهُ على التنازل، بل على التبادل، فجل الجماهير مع التسامح تؤمن بحق أيّ مشجع في التعبير عن حماسه وتشجيعاته بما يضمن الحق عينه للمشجع المنافس، فالتسامح علاقة متبادلة بين أطراف متباينة، أساسها الاحترام والقبول. وهي القيمة المُنافية لقيم التعصب باعتباره لا يتحمل الاختلاف والتنوع، بل عقيدته التنميط. وبذلك تجده يتوسل الإكراه، ولو اقتضى العنف بكل أشكاله الرمزية والمادية، مقابل توسل التسامح لمبدأ الاعتراف بأحقية وشرعية المخالف في التعبير عن نفسه بما يضمن حق الأطراف الأخرى في تحصيل نفس مَساحات التعبير. بالإضافة إلى كون التسامح يتحرى الجوامع المشتركة بين الأطراف المتباينة. فمع التسامح تقتسم الجماهير الرياضية نفس مَساحات التعبير والتشجيع والانفعال والحماس، وهو تعبير مبناهُ على التعدد والاختلاف، وذلك وجه التباين بينها. وتتوافق في تقدير الخلق والإبداع الرياضي مهما كان مصدره، وذلك وجه المشترك بينها.

فالرياضة تُعتبر أكثر المجالات خصوبة لتعزيز ثقافة التسامح، واستثمارها لهذه الغاية السامية من شأنه أن يقرّب المسافات بين ثقافات شعوب العالم حيث التنوع والتعدد على النحو الذي يضمن سيادة ثقافة التعايش والسلام. ففي هذا العمل البحثي سنسعى إلى بيان أن الرهان على الرياضة في تعزيز قيم التسامح بين جماهير العالم خيارٌ وجب ممن يؤول إليهم إدارة هذا القطاع بالاشتغال عليه على النحو الذي يحقق مكسب التسامح باعتباره مكسبا ثقافيا. فبحثنا ينطلق من إشكاليتين اثنتين: كيف هو واقع التسامح في الثقافة الرياضية السائدة؟ وكيف يمكن للرياضة أن تُسخّر إمكانياتها الذاتية لنشر قيم التسامح بين جماهير العالم؟ هاتين الإشكاليتان دفعتا بالبحث إلى أن يشتغل ابتداء عن مفهوم التسامح، ثم عن تشخيص ثقافة التسامح في الثقافة الرياضية المُكتسحة، مع بيان مسؤولية كلّ من الأندية والإعلام الرياضي والأسرة والمدرسة وجمعيات مشجعي الأندية عن مآل إليه وضع التسامح بين المشجعين، وأخيرا عن كيفية كبح جماح اللاتسامح المتفشي في كثير من الملاعب الرياضية بهدف تعزيز التسامح بين مختلف جماهير العالم.

فالبحث ينتهي إلى تأسيس فرضية مقتضاها، أن التسامح بوُسعه أن يساهم في إفشاء وإظهار كل ما هو إنساني في الرياضة، وبالتالي تحريرها من براثن التعصب واللاتسامح، لكن تحققه لا يكون إلا بتخل كل الشركاء الرياضيين، كل حسب موقعه، شريطة أنّ هاجسهم المشترك، هو أنسنة الرياضة. والنتيجة حتما، هي تعزيز ثقافة الأمن والسلام.

1- تاريخية مفهوم التسامح

قبل أن نتناول معرفيا موضوع بحثنا، والذي مداره حول دور الرياضة في تعزيز ثقافة التسامح، كان لا بد ابتداء من تبيان ما المقصود بالتسامح.

إن فكرة التسامح لم تنشأ في الوعي الإنساني باعتبارها نزعة إنسانية، بل تولدت من مخاض صراعات وحروب دموية، في ما بات يُعرف في كتب التاريخ باسم الحروب الدينية. كانت أوروبا مسرحا لها في القرن السادس عشر. هذه الحروب اشتدت شراستها بين الكاثوليك والبروتستانت، وكان لا مخرج لها إلا بتوسل مبدأ التسامح، الذي يقضي بضرورة إقرار موضوعي لواقع ديني دون الخوض فيه، فاستقر الوضع على جغرافية دينية تجلت في سيطرة سلطان الكنيسة الكاثوليكية على جنوب أوروبا، بينما أحكمت البروتستانتية هيمنتها على هولندا وألمانيا والعالم الأنكلوساكسوني، فيما ظلت الأرثوذوكسية تنشر تعاليمها في شرق أوروبا وبعض جنوبها. فالتسامح لم يكن يحمل فكرة الاعتراف المُتبادل بحق الاختلاف في الاعتقاد والتدين، بل كان

يفيد حصرا الإقرار بواقع قائم، هذا الإقرار ليس مأتاهُ من فكرة واعية بديناميات التسامح على المجتمعات الإنسانية بقدر مأتاهُ من شعور يقتضي بقبول التعدد الديني الحاصل في أوروبا دركا لمزيد من الدماء والحروب.

ومن أهم النصوص المؤسسة لفكرة التسامح نجد كتابات "بايل"[1]، أعلاها قيمة، كتابه: "تعليق فلسفي على قول المسيح: أرغمكم على الدخول في الدين"، فيه دفع بايل عن مبدأ التسامح بجدل فلسفي أكثر منه تيولوجي، فقد سعى إلى ضرورة الإقرار بحق الناس في التدين وفي التمذهب، بل حتى في الدعوة لأيّ دين شريطة المحافظة على النظام العام، وأن يُلجأ إلى المساجلة والمحاججة عوض الإكراه والعنف. بايل كان أكثر عمقا وجرأة من معاصره جون لوك، الذي كتب نصا في التسامح بعنوان "رسالة في التسامح"، لوك استثنى من تسامحه الملحد والكاثوليكي والمسلم. بحكم فساد تعاقدهم تجاه الدولة، إذن، فعدم تسامحه مع الكاثوليكي والمسلم ليس مرده إلى الدين، بل بسبب ولائهما لسلطة أجنبية. ففكرة التسامح عنده مبناها على الفصل الحاسم بين الدولة والدين.

يضيف لوك على أن فرض وحدة الدين والمذهب من طرف الدولة بدعوى صون وحدة المجتمع درءا للفرقة والانقسام هو خيار فاسد للدولة وللمجتمع وللدين، بل يعتبر أن التسامح هو الضامن لوحدة المجتمع والدولة، ودورها هو ضمان التعدد الديني وتدبيره. فلم تنته الحروب الدينية في أوروبا إلا حين أقرّ مبدأ التسامح، وتم فصل الدين عن السياسة، فالدولة محايدة تجاه عقائد الناس.

بالنسبة لفولتير، لم تحمل أفكاره جدّة قياسا على سالفيه بايل ولوك، فهو يتساءل عن ما هو التسامح؟ فيجيب على أنه ميزة إنسانية، فليسامح بعضنا حماقات البعض. وهو بذلك يؤسس لمفهوم متعال للتسامح، إذ يحمل معنى مفاده أن المتسامح رغم صحة رأيه واعتقاده فهو يعفو ويتجاوز عن المتسامَح معه، وهو ما حمل كانط على رفضه. فالتسامح ليس تنازلا متعاليا، بل هو اعتراف متبادل بالحق في الاختلاف.

فالثقافة الأوروبية لم تكن على قدر الجاهزية حينئذ لإرساء فكرة التسامح باعتبارها الاعتراف بحق الاختلاف، بل الأمر اقتضى حيزا زمنيا امتد إلى النصف الثاني من القرن العشرين. حيث بلغت العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة ذروتها من الإنتاجات والمفاهيم العلمية. وبذلك انتقل مفهوم التسامح من طورين اثنين: الطور الأول، والذي يفيد باعتباره اعترافا موضوعيا لواقع قائم، هذا المفهوم عززته كتابات: غروتيوس، بايل، جون لوك، فولتير، **وغيرهم**. أما الطور الثاني والذي بُني على

.

الأول، انتهى المفهوم فيه إلى تبني فكرة التسامح باعتبارها اعترافا بالحقوق الثقافية والغوية، أي الاعتراف المتبادل بالحق في الاختلاف.

إذن، ففكرة التسامح عرفت نقلة نوعية من حيث المفهوم، ابتدأت باعتباره قضية دينية إلى اعتباره قضية ثقافية تشمل القيم واللغات والعادات والأذواق.

إن فكرة التسامح كشأن أيّ فكرة تنويرية، لها نزوع نحو الفشو والانتشار، أي أنها كونية وعالمية بطبيعتها. وبذلك أضحت العديد من المجالات المجتمعية بحاجة إلى إفشاء هذه القيمة النبيلة بحكم التعدد والتنوع الحاصل فيها. ومن هذه المجالات، الرياضة، حيث كثرة الفرق والأندية والانتماءات والأذواق والمشجعين على اختلاف أعمارهم وأجناسهم ولغاتهم وجغرافياتهم. فالأمر يقتضي الحاجة إلى من في مُكنه أن يدير هذا الاختلاف القائم بين جماهير العالم، والذي بوُسعه تحقيق التعايش والسلام والأمن مع المحافظة على ولاءات الحب والميولات تجاه الفرق دون إنكار ذلك على الآخرين. فكسب رهان هذا التحدي في إدارة هذا التنوع لن يتحقق إلا من خلال مبدأ التسامح باعتباره الاعتراف المُتبادل بالحق في الاختلاف. وهو تسامحٌ يسع منظومة من القيم، في مقدمتها قيمة الاعتراف والقبول بالآخر والتفاهم والاحترام والتعايش. وهي قيم جامعة، هاجسها الأساس المحافظة على لُحمة ووحدة المجتمع بعيدا عن ثقافة الفرقة والانقسام. ناهيك أن هذه القيم من شأنها أن تُحدث توافُقات داخل المجتمع لتدبير الاختلافات والمنازعات.

2- دور المنظمات الرياضية في تعزيز ثقافة التسامح

يستعصي اليوم أن تَحمل شعوب العالم على أن تجتمع حول قضية ما، ناهيك أن يحدث توافق حولها، لكن هذا الاجتماع إن فشلت السياسة أو الاقتصاد في تحققه، فقد استطاعت الرياضة بإمكانياتها الذاتية المُغرية أن تجذب كل شعوب العالم إليها رغم الاختلاف القائم بين جماهيرها على مستوى الدين واللغة والجنس والجغرافيا. فهي ملتقى الثقافات. لكن الحاصل أن المؤسسات الرياضية المُشرفة على الإنتاج الرياضي المتمثل في الكم المتدفق والمسترسل من المباريات والمنافسات المحلية والإقليمية والدولية هاجسها الأساس هو تحصيل المكاسب المادية فحسب، بحكم أن الرياضة أضحت اقتصادا، وهذا ينسجم مع أهدافها التجارية. الأمر الذي حمل الرياضة بأن تنصرف عن الانشغال بنشر القيم الرياضة الكونية، في مقدمتها قيم

التسامح. وهي قيم لازالت المواثيق والقوانين الدولية الرياضية تؤكد على أهميتها، بل خصصت اللجنة الأولمبية الدولية يوم 23 يونيو من كل سنة كيوم عالمي احتفاء بالمجتمع الدولي الرياضي في إرساء قيم التسامح والسلام والتضامن[2].

لكن للميدان والواقع الرياضي رأي آخر، يتجلى بالأساس في حرص هذه المنظمات فقط على ما يمكن تحصيله من المكاسب المالية بحكم أن القطاع جزيل العوائد. فانصراف الرياضة عن قيم التسامح وانشغالها بالمكاسب المادية، كانت له نتائج وخيمة على الرياضة من جهة، ثم على جماهيرها من جهة أخرى. أهم هذه النتائج يتجلى في تغليب ثقافة التعصب المرضي الذي لا يؤمن بأحقية المنافس الآخر في الفوز، هذه الثقافة تشرّبها ابتداء الرياضيين لتمتد إلى عموم الجماهير. وقد جندت لها وسائط إعلامية قوية استطاعت من خلالها أن تكتسح عموم الجماهير في كل بقاع العالم، وأن توحدهم على قيم مُنمطة مدخولة بسلوكيات تُعزز نبذ الاختلاف والاعتراف والاحترام، وجلّ هذه السلوكيات تُفضي بجماهيرها إلى إنتاج العنف والشغب، الأمر الذي يهدد سلامة وأمن وحياة الجماهير.

فتسخير الرياضة للكسب المالي فحسب جعلها ابتداء تتعامل مع الرياضي بحسبانه أداة إنتاج، هذه الأداة يتم إعدادها وتسويقها لجمهور عريض باعتباره مستهلكا، فما يشغلها في المقام الأول، هو الإقبال على منتوجها واكتساحه لباقي المنتوجات المنافسة، وبحكم هذا المنطق التجاري المحض، تكون القيم الإنسانية النبيلة كقيم التسامح خارج أجندة عمل المؤسسات الرياضية، الأمر الذي ينعكس سلبا عليها، في مقدمته إنجابها لقيم تنسف كل ما هو نبيل في الرياضة، والقرائن كثيرة على ذلك، إذ يكفي الوقوف على حجم الخسائر البشرية والمادية التي عرفتها ملاعب كثيرة جراء تفشي ثقافة التعصب عوض ثقافة التسامح.

إن المنظمات الرياضية اليوم، وخاصة، تلك التي تتواجد بدول الجنوب[3]، حيث التنمية فيها لازالت في طور النمو، مدار انشغالها هو النتائج والانتصارات، وهذا التوجه ساهم بدون وعي منها إلى تهيئة الظروف والشروط لاحتضان ثقافة التعصب واللاتسامح. وبيان ذلك، أن تمثل قياداتها الرياضية للرياضة الاحترافية يُحصر في تحقيق النتائج فحسب. الأمر الذي حملها إلى التفكير في النتيجة باعتبارها منطقة الإصلاح والانتهاض بالمنظمة. وبذلك، تكون النتيجة، هي المُنطلق والمُنتهى، وهذا يعد بحسبانه ضربا من العبث. في حين أن النتيجة حاصلة بالتبع من إرساء وتتبع القواعد الكبرى للاحتراف، وهي المقدمات والبدايات المؤداة إلى النتيجة باعتبارها ثمرة، لكن الحاصل أن انحرف الفعل إلى التفكير في النتائج باعتبارها مقدمات، والحال

.

[3] - الدول السائرة في طريق النمو، والنمو هنا، يشمل جل مجالاتها الحيوية، ومنها، مجال الرياضة.

أنها نهايات. ومن أهم هذه المقدمات بما يرمي إلى تحقيق النتائج، هو تدريب الرياضيين الصغار والناشئين على جملة من القيم تقع فيها قيمة التسامح موقع القلب بحكم أنها تسع منظومة من القيم الجزئية الصانعة للإنجاز.

فاختزال الرياضة الاحترافية في النتيجة دفع بالتدريب الرياضي إلى الاعتماد بالأساس على إعداد ما يمكن أن يتوسله الرياضي في صناعته للإنجاز المُرتقب. وبحكم أن منطق الإنجاز، الفاعلُ فيه بالأساس هو البدن، فقد تم توسل أحدث الطرق والوسائل بُغية تأهيله بجملة من المهارات والقدرات التي من شأنها أن تُحدث ذاك الإنجاز. إذن، فمدار انشغال المدربين وخبراء الرياضة، هو إعداد الرياضي لنيل الألقاب والفوز. وقد سُخرت لهذا الغرض إغراءات مالية خرافية في حالة ما إذا تحقق الفوز أو تم تحطيم رقم قياسي معين، وبذلك يضعف جانب القيم أمام هول هذه الأرقام الفلكية المُغرية. وأمام هذا الإغراء يضع الرياضي بدنه رهن إشارة النادي، وبذلك يخضع لتدريبات مكثفة، تنال من جسمه من كثرة الإفراط في الإعدادات والمباريات، فاليوم يتم تدمير بدن الإنسان باسم الرياضة، لأن الرأسمالية الرياضية المتوحشة لا ترى فيه سوى منتوجا يجب استثماره بشكل مكثف قبل أن تنتهي صلاحيته، لأن أيّ رياضي صلاحية مردوديته محكومة بمدة زمنية وجيزة، وبذلك وجب استثماره أشد الاستثمار. هذه الثقافة الرياضية التي يعيش في كنفها الرياضي حملت إليه قناعة مفادها أن القيمة الرئيس التي عليه أن يتغيّها في مساره الرياضي، هي قيمة الربح والفوز، ووعيه بزمنية محدودية أدائه الرياضي دفع بعض منهم إلى أن يتوسلوا المنشطات والمواد المحظورة دوليا بهدف تمديد زمن صلاحيتهم. كل هذا سُقناه بهدف الإقرار بأن قيمة التسامح التي مبناها على قبول واحترام المنافس والانتصار لقيم الإبداع يصعب توفير شروط إحلالها في وعي وسلوك الرياضي في ضل هواجس الفوز والربح المادي. وبذلك ما ينجم من ثقافة هوس الربح والانتصار، هو أن يتسلل شعور نفسي إلى الرياضي مقتضاه أن الفوز من حقه دون غيره من المنافسين، ولو اقتضى الأمر توسل سلوكيات لا أخلاقية ولا رياضية، كأن يتعمد سب وشتم المنافس دون رؤية الحكام له، أو أن يتحرى إلحاق الضرر البدني بخصمه بشكل يتحايل فيه على قانون اللعبة، أو أن يسعى إلى تهييج الجماهير من خلال سلوكيات مخلة بالأخلاق والآداب الإنسانية. كل ذلك يساهم في إنعاش ثقافة التعصب حيث لا مكان للتسامح فيها باعتباره اعترافا متبادلا بين المنافسين بأحقية كل واحد منهم في الفوز شريطة توسله لكل الوسائل المشروعة والمتواضع حولها. فهذه السلوكيات التي تحدث من قبل هؤلاء الرياضيين ينتج عنها آثار سلبية تعود أضرارها على الرياضي نفسه وعلى ناديه، ثم تمتد هذه الآثار لتُلقي بمفاسدها على عموم الجماهير. فالرياضي يهدد مساره الرياضي إن هو سلك مسلك العنف باعتباره مترجما لقيم فاسدة، فما قيم عدم الاعتراف بأحقية المنافس في الفوز والإنكار والرفض وعدم القبول

إلا قيم فاسدة يتعيّش ويتغذى منها العنف بكل أشكاله الرمزية والمادية. فهذه الترجمة السلوكية لثقافة اللاتسامح تمتد إلى عموم الجماهير وتجد طريقها بيسر إلى وعيهم وسلوكياتهم بحكم أن الجمهور في مثل هذه المُلتقيات يكون أكثر انفعالية وحماسة، وبذلك يسهل أن تتسلل إليه ثقافة التعصب المُنافية والمُناقضة لثقافة التسامح، الأمر الذي يسمح بحدوث خلل قيمي مهُول، خاصة في صفوف الأطفال والمراهقين، هؤلاء الذين يرون في الرياضي قدوة ومستقبلا. والنتيجة، هي أن يحصل عنفا مزدوجا، عنف مأتاه من سلوك الرياضي، وعنف حاصل بالتبع بين صفوف الجماهير. فعوض الفرجة والاستمتاع بجمال الرياضة في مناخ تسوده ثقافة القبول والاحترام والاعتراف والتقدير باعتبارها قيم مؤسسة للتسامح المتبادل بين فرق وجماهير الأندية، يسود العنف والشغب كمعاول هدم لكل ما هو جميل في الرياضة. بل يتجاوز الأمر ذلك إلى الاعتداء على سلامة وحياة الجماهير، اللذين ذنبهم الوحيد سوى أنهم أخطئوا المكان. تلك نتائجٌ لثقافة عُصابية لا مكان فيها يسعُ الجماهير المنافسة.

وكحل إجرائي لحل هذا المشكل القيمي القائم، هو الوعي ابتداء بأن الإنجاز الرياضي ليس مأتاه فحسب من المهارات البدنية والنفسية، بل ثمة عاملٌ فعّال وحاسم في معادلة تحقيق الإنجاز والفوز، وهو عامل القيم[4]، وعلى رأسها قيمة التسامح باعتبارها قيمة جامعة لقيم الاعتراف والاحترام والقبول. هذا الإعداد القيمي يجب أن يسلك نفس مسلك الإعداد البدني والفني والخططي والنفسي، بحيث أن توضع رؤية قيمية للرياضي بما يناسب طبيعة الاستحقاقات الرياضية المنتظرة، وأن يخضع لتدريب عليها في سياق ظروف وشروط اللعبة حتى يتمكن من اكتسابها كمهارات سلوكية يستطيع تمثلها وعيا وسلوكا أثناء المباريات والمنافسات. الأمر الذي سينتج منه بالضرورة إنجازا ماديا، بحكم أن الإنجاز صار يتطلب منظومة من المهارات، منها: المهارات القيمية حيث التسامح أعلى منزلة فيها. وبالتبع سيحصل امتدادا لهذه القيمة إلى عموم الجماهير لكونها تتلقى ما يحصل داخل الملعب دون وعي منها بحكم حماسياتها المفرطة، فإن كان ما تتلقاه سوى قيم التسامح فسينعكس إيجابا على انفعالاتها وحماسها. وبذلك تكون الرياضة جامعة لكل الجماهير، لأنها تسع الكل بحكم قيمة التسامح المتدفقة فيها.

وهناك أمر في غاية الأهمية، وغالبا ما لا يُلحظ إلا باستعمال أدوات وآليات التحليل الثقافي، وهو ذلك التفاوت الصارخ بين المنتوج الرياضي والمنتوج الثقافي، وهو تفاوت حاصل على مستوى الإنتاج. فالمنتوج الرياضي، هو ذلك الإنتاج الهائل من المنتوجات الرياضية المتطورة حيث اللعبة الرياضية جزئية منه، والتي سُخِّرا العلم والتكنولوجية لفائدتها بهدف تحسين جودتها

وفعاليتها. مقابل هذا التطور المتجدد في مجال الإنتاج المادي الرياضي، نجد، الثقافة الرياضية، والتي لا تساير هذا التطور المهُول للرياضة، حيث ضلت الرياضة مجالا منفتحا ومتطورا، والثقافة منغلقة وثابتة. إذ ثمة بون صارخ بين المُنتج الرياضي المادي والمُنتج الثقافي الرياضي. والثقافة هنا، هي منظومة من الأفكار والمشاعر والسلوكيات التي على ضوئها تستهلك المجتمعات هذه المنتوجات، فهو، أي الجمهور، ضل يستهلك المُنتج الرياضي المتجدد بعقلية وثقافة راكدة يغيب فيها الفهم والنقد والمساءلة، وبذلك يمكن القول أن الصناعة الثقافية الرياضية ضلت على مستوى مضمون القيم التي تروج لها ثابتة ومغلقة وراكدة، وهي قيم استهلاكية في المقام الأول، بحيث تدفع صاحبها إلى مزيد من الاستهلاك دون نقد أو مساءلة للمنتوج المستهلك، في حين أن الصناعة الرياضية متطورة ومتجددة ومتدفقة، وهذا التدفق لا يساير ثقافة المستهلك، بل بالعكس أن هذا التفاوت مقصود من لدن صانعي الثقافة الرياضية العالمية لأن بواسطتها يتم امتلاك ناصية الجمهور بما يخدم مصالح أصحاب الصناعة الرياضية العالمية.

ومن الأمثلة على تجليات هذه الثقافة الراكدة والمغلقة، والتي لازالت تقتات من قيم العنصرية والعنف. نعرض الأمثلة التالية:

– المثال الأول، ظاهرة التعصب: فالتعصب الحاصل بين الجماهير الرياضية تجاه فرقهم يزداد يوما بعد يوم على النحو الذي يحمل جمهورا معينا لفريق ما أن يخاصم ويعادي الجماهير الأخرى ممن هم متعصبون بدورهم تجاه فرقهم. وهذا التعصب يُحقّق بالنتيجة الفُرقة والانقسام عوض توحيد اللحمة والصف، وهذا يخالف ويعارض الطبيعة النبيلة للرياضة حيث غايتها الوحدة والتجميع. فالشاهد أن هذا التعصب لفائدة فريق ما لا يوازي التطور الرياضي الحاصل في نفس الفريق. والنتيجة، أن الفريق تطور رياضيا، والسلوك المُنتج من قبل محبي الفريق تراجع ثقافيا. وهذا تفاوت حاصل بين الرياضة وثقافتها.

– المثال الثاني، ثقافة مشاهدة المباريات: إن ثقافة المشاهدة السائدة بين عموم الجماهير يغيب فيها التأمل والاستمتاع بالأداء المعروض، بل الحاضر، هو الثقافة الانفعالية، مصحوبة بالكلام النابي والسلوكات المنحرفة، الشيء الذي يجعل من الصعب على المرء أن يصطحب معه أبناءه إلى الملاعب. فهذا السلوك يعزز قيمة اللاتسامح مع فئة الأسر والعائلات. والحاصل، هو وجود مُنتج رياضي "المباريات" متناغم ومبدع مقابل مُنتج ثقافي يطبعه الانفعال والابتذال.

– المثال الثالث، ظاهرة الشغب: إن الشغب باعتباره السلوك الذي عبره يتمظهر التعصب كفكرة وشعور صار يؤثث فضاءات الملاعب الرياضية، فهذا السلوك لا يساير من حيث المستوى والنضج، المنتوج الرياضي المعروض. إذن، ثمة فجوة شاسعة بين سلوك الشغب وما ينتج عنه من الضرر بالذات وبالآخر، وبين المنتوج الرياضي المعروض.

إذن، فعلى قدر سعي المنظمات الرياضية في تجويد مُنتجها "اللعبة الرياضية"، هي مُطالبة كذلك بالتوازي في المساهمة بتأهيل وتصويب الثقافة الملازمة لهذا المُنتَج.

3– دور الإعلام الرياضي في تعزيز ثقافة التسامح

يُعتبر الإعلام الرياضي مُنتجا وموزعا بامتياز للثقافة الرياضية، وهي الأكثر تأثيرا على الجماهير الرياضية. وبذلك تتنافس المواقع الإعلامية فيما بينها حول من يظفر بأكبر متابعة، ولهذا الغرض تبدل كل الجهد في جذب انتباه الجمهور كمستهلك لها حتى تحضى بنسبة عالية من المتابعة والمشاهدة، الأمر الذي يحقق لها بالتبع عوائد إشهارية مهمة، ولتحقيق هذا الهدف فهي تُسخر الأدوات التي تملكها، وهي اللغة والصورة.

فقد وظفتهما أفضل توظيف بما يخدم أجندتها الربحية، الإعلام يعي بالدور السحري لكل من اللغة والصورة، وبذلك يُبدع في إنتاج نصوصه سواء كانت كتابية أو شفاهية أو بصرية، فهي نصوص مصطنعة، أي يتم تشكيلها بمهارة محترفة لتحقق أهدافها، ومعيارية النجْح لأيّ نص رياضي، هو اكتساحه لفئات عريضة من الجماهير. فتغليب هواجس الربح دفع بالعديد من هذه المواقع إلى نهل ألفاظها وعباراتها من معاجم تستطيع جذب انتباه الجمهور، ومنها للمثال: معاجم العسكرة والحرب والصراع، ومن أمثلة ذلك: الكتيبة والقلعة والعرين والعدو والخصم..، هذه الألفاظ جامعها المشترك من حيث الدلالة هو: العنف.

هذا العنف يغتني وينمو، لأن ثمة مَساحات شاسعة لاستقباله بين فئات من الجماهير بحكم ظروفها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، هذه الظروف تُستدخل بدون وعي من المُتلقي في عملية استهلاك العبارات والصور، فتزيد من معانيها أكثر ما حُمّلت به، أي أن هذه العبارات والصور تخرج من زمن النص إلى زمن التداول الاجتماعي، أي من حياة النص إلى حياة الفعل والسلوك. وهي حياة، الاستهلاكُ فيها للنص يكون وفق مقاييس المستهلك لا وفق مقاييس مُنتج النص. والأمر يزداد صعوبة حينما يكون المستهلك من الفئات الاجتماعية الهشة، وهم أغلب جمهور رياضة كرة القدم حيث السواد الأعظم من الجماهير.

كذلك لابد من الإشارة إلى ظاهرة تفشت في الإعلام، الكل يعلم أن من المهام الرئيس للإعلام، المهمة الإخبارية، واليوم حدث انعطاف في عملية تغطية الأخبار، فإلى جانب الحضور في العالم الواقعي لمعاينة حدث رياضي أضحى من الممكن التحري عن الحوادث في العالم الافتراضي، وكثيرة هي المواقع الإعلامية التي أصبحت تمتحُ مواضيعها من مواقع التواصل الاجتماعي، لكن للأسف أغلبها مواضيع هامشية وعرضية، وعوض أن تركز على قضايا مركزية باعتبارها الأس الأساس للرياضة الوطنية، أصبحت تُلقي الضوء على بعض قضايا الهامش لما فيها من الإثارة، هذه الإثارةُ، كانت قبل فشو وانتشار مواقع التواصل الاجتماعي، الإفصاح عنها في حكم الممنوع، كانت تتداول في الدوائر المغلقة بحكم أن ثمة سلط تمنع ظهورها، إما سلطة القانون أو سلطة الدين أو سلطة المجتمع، أما اليوم فهناك عنف تكنولوجي كسر كل هذه السلط، لكن ليس كل ما يطفو على السطح يستحق أن يُضاء عليه.

هذه الإثارة يروج لها باستعمال صور ولغة تزيد من حجمها. بالنسبة للغة، فلا يجوز الاعتقاد أن حدودها الألفاظ المنطوقة أو الجمل الصوتية. بل اللغة لها فعل مباشر في تشكيل فكر ونفسية وسلوك المشجع، فاللغة ليست محايدة، أي أن منطق الحياد لا يحكمها، فهي حاملة من خلال ألفاظها لمنظومة من القيم، قد تكون قيما مؤسسة لأخلاق وسلوكيات العنف والكراهية والإقصاء واللاتسامح، كما في مُكنها أن تحمل قيما مؤسسة لأخلاق وسلوكيات الاعتراف والتعايش والتسامح. فاللغة كائن حي ينمو ويتطور، فاللفظة إن كانت حاملة لمعاني العنف، فهي تغتني خلال مسار نموها بدلالات عنيفة جديدة. هذا يحيلنا إلى مساءلة الثقافة اللغوية المستشرية لدى فئة عريضة من الجماهير، وبذلك نتساءل عن مصدرية هذه الثقافة من خلال التساؤل التالي: ما مصدر الثقافة اللغوية المتداولة بين عموم الجماهير، ونخص بالذكر جمهور كرة القدم باعتبار الظاهرة "التعصب" لصيقة به؟

إن هذه اللغة التي يتمثلها المشجع ذهنيا وسلوكيا لها مصادر عدة، منها:

- الأغاني والخطابات والشعارات التي يردّدها المشجعون.
- الثقافة اللغوية السائدة بين أوساط مشجعي الفرق.
- الثقافة اللغوية المُتداولة في الإعلام الرياضي بكل أنواعه الورقي والتلفزي والرقمي.

فمن أهم هذه المصادر نجد لغة الإعلام، فهي لغة مؤسسة لنوعين من الثقافات الفرجوية:

– إما أنها ثقافة لغوية مدخولة بنزعات عنصرية وإقصائية حيث لا مكان فيها للجمهور المنافس، وهنا تكون اللغة المستعملة مؤسسة لقيم ولأخلاق الكراهية والعنف والإقصاء واللاتسامح.

– أو ثقافة لغوية مدخولة بنزعات إنسية "إنسانية" حيث يسع المكان فيها كل الجماهير المنافسة، وهنا تكون اللغة الإعلامية المستعملة مؤسسة لقيم الاحترام والاختلاف والاعتراف بأحقية الجمهور في تشجيع أيّ فريق يشاء، وجلها قيم مؤسسة لقيمة التسامح.

فلغة الإعلام هي مدخل من المداخل الضرورية لتبديد وتقويض هذه الظاهرة "التعصب"، من خلال ما يمكن تسميته بأنسنة لغة الإعلام، أي استعمال اللغة التي في وُسعها أن تُضيء عن كل الأبعاد الإنسانية والجمالية وكل القيم النبيلة.

وفي سياق الحديث عن ضرورة إحداث ثورة على مستوى لغة الإعلام بما يعزز ثقافة التسامح بحكم قدرتها على تشكيل وعي وسلوك المشجعين، كان من الضروري أن نتطرق إلى قضية أخرى، كانت وستظل في حكم المنسي، وهي قضية التلقي للخطاب الإعلامي من قبل الجمهور الرياضي.

إن النص الإعلامي سواء كان شفاهيا أو مكتوبا أو بصريا يتغيّا إيصال معنى ما إلى جمهوره. ما من خطاب إلا وثمة متن يتوخى نقله إلى مرسل محدد سلفا، فالخطاب لابد له من مرسِل ومرسَل ورسالة وقناة تمر عبرها الرسالة. فالمعنى الذي يتوخى مُنشئ النص إرساله للمتلقي، هل هو عينه المعنى الذي يتلقاه ويفهمه مُتلقي النص؟ هذه منطقة غنية بمساحات معرفية شاسعة، لكن للأسف لم توضع موضع الدراسة والبحث. إن السائد والشائع أن المتلقي لأيّ نص إعلامي رياضي إنما يتلقى فهم ومقصد صاحب النص، لكن الأمر على عكس ذلك، فما من نص إعلامي المعنى فيه مُعطى وجاهز، وإنما المعنى شراكة بين النص والمتلقي، بين الإعلامي والجمهور. فالمعنى ليس سابقا عن القراءة كما يُعتقد، بل القراءة مؤسسة له. المعنى السابق هو معنى صاحب النص لا معنى قارئ النص. أي أن المعنى الذي يحمله النص، وهو المعنى المقصود من قبل صاحبه، غير المعنى الذي يؤسسه متلقي النص. وبالتالي، فالمعنى الموجود في النص، هو معنى واحد وثابت، بينما المعنى المُتلقى، هو متعدد ومتغير[5].

إن هذا التغير الحاصل في أفهام المتلقين ليس مأتاه من النص، بل راجع بالأساس إلى شروط التلقي، أي إلى العوامل التي يتوسلها المُتلقي في قراءته للنص، وهي عوامل أربع: العامل الثقافي والعامل النفسي والعامل الاجتماعي والعامل الاقتصادي.

وسيطرة هذه العوامل على عملية القراءة يجعل المعنى الذي يؤسسه المُتلقي متولدا من خارج النص لا من داخله. فكيف تشتغل هذه العوامل أثناء عملية التلقي؟

أ- العامل الثقافي:

إن القارئ "الجمهور" وهو يقرأ النص الرياضي، فهو يقرؤه وفق ثقافته ومعارفه لا وفق ثقافة ومعارف مُنشئه، أي أن المُتلقي حينما يتلقى الخطاب يتوسل معارفه وأفكاره في فهمه له، والمعارف والأفكار بين الجمهور متعددة ومتباينة، وبذلك فالمعنى المستخلص من النص متعدد ومتباين. فالمعنى هنا: يربو ويتكاثر بتكاثر مُتلقيه. فكلما تعدد التلقي، تعددت المعاني طردا. لكن هذه الثقافة التي يتحرك بداخلها المتلقي هي بمثابة مستقبل وحاضن لنص المرسل، فالمُتلقي يضيف ويزيد عليه بما تسمح به ثقافته، لكن هذه الإضافة والزيادة تكون منسجمة مع ما يحمله النص. فإن كان النص مغمورا بلغة العنف والتعصب واللاتسامح، فالنتيجة، هو أن القارئ يضفي على النص مزيدا من معاني ودلالات العنف والتعصب بما يناسب معارفه وثقافته وقيمه. وإن كان النص مغمورا بلغة التسامح وقبول الاختلاف، فالنتيجة، هي إضفاء مزيدا من دلالة التسامح والاختلاف.

ب- العامل النفسي:

إن المتلقي حينما يستقبل النص الرياضي يستقبله وهو مسكون بأسئلة وبضغوطات وبمصالح نفسية، هذه الحاجات النفسية لا يستطيع أن ينفلت من قبضتها أثناء التلقي، وبذلك فهو يضفي هذه المعطيات النفسية الذاتية على النص، فتتولد معاني من خارج النص لا من النص، فالنص الإعلامي الذي يُعبئ ويُجيّش نفسية الجماهير من خلال اللغة والصورة باعتبارهم أدوات ساحرة، قد ينجم من هذا التجييش عواقب وخيمة بحكم أن متلقيه تتوفر فيه شروط نفسية لها القابلية أن تنصرف وراء هذا التجييش.

ت- العامل الاجتماعي:

شرط حاضر في عملية التلقي، فالوضع الأسري والاجتماعي للمتلقي يُلقي بضلاله وتأثيراته على بناء نوع التمثلات حول النص، فالجمهور القاطن في المناطق الهشة اجتماعيا حيث التفكك الأسري والمخدرات، له استقبال خاص للخطاب الإعلامي، فهو يقرؤه حسب مقتضياته الاجتماعية، فالخطاب الذي لا يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات الاجتماعية للجمهور المستهدف، فالنتيجة، هي إنتاج دلالات للنص مأتاها من الظروف الاجتماعية لا من متن النص. فالمتن بمثابة مثير يُلقي بمعانيه ليخرج معاني إضافية من جنس معنى المثير.

ج- العامل الاقتصادي:

يعتبر وعامل الثقافة من أهم العوامل المتحكمة في قراءة أيّ نص رياضي، فالوضع المادي من أكثر العوامل تأثيرا على عملية التلقي، فأغلب جمهور كرة القدم يعيشون ظروفا قاسية حيث البطالة والدخل المحدود، والجانب المادي له دينامية خاصة، فصاحبه إن كان لا يعرف استقرارا ماديا يصعب عليه كبح جماح سلطته، فتنعكس كليا على عملية التلقي.

أمام تعدد هذه العوامل عند لحظة استقبال النص الإعلامي بحيث تنعكس سلبا أو إيجابا على عملية التلقي بدرجات متفاوتة، هذه السلبية أو الايجابية تزداد معانيها حسب ما يحمله النص المثير. فلا بد من محترفي صناعة اللغة والصورة أن يأخذوا هذه العوامل بعين الحسبان أثناء إنتاجهم للنص الإعلامي، فهُم مطالبون بفهم السياقات والظروف التي يتحرك بداخلها جمهورهم قبل أن يُقبلوا على إنتاجي مادتهم الإعلامية، عن طريق هذا الفهم العميق يمكن كبح ذلك الكائن المتوحش الذي يسكن بعضا من الجمهور بسبب تلك الظروف الصعبة حيث تكالبت عليه المواجع من كل جهة، الأمر الذي سيسمح بتظهير كل ما هو جميل وراقي في الجمهور.

إن المطلوب من الإعلامي اليوم أن يكون دقيقا وحريصا في اختيار اللغة والصورة أثناء بناء نصه الرياضي، وأن تكون عبارته وصوره بما يسمح بإنتاج مزيد من معاني التسامح والتعايش والاعتراف والاختلاف، وبذلك يكون مؤسسا في نصه لمعنى شامل وكلي لا يقبل إلا بإنتاج المزيد من المعاني التي لا يمكن أن تندرج إلا تحت إطار هذا المعنى الشامل. وتلك هي وظيفته لمحاربة ظاهرة التعصب الحاملة لقيم الإنكار واللاتسامح انطلاقا من موقعه حيث اللغة والصورة هم أدوات معركته.

4- دور الأسرة والمدرسة في غرس قيم التسامح الرياضي

أ- دور الأسرة في غرس قيم التسامح الرياضي

إن الأسر لها دور حاسم في عميلة التنشئة، لكن دورها التربوي أضحى باهتا، بحكم دخول مُتغير رئيس لم تستطيع معه الصمود، لأنها لا توازيه من حيث الندية والتأثير، هذا المتغير، هو الإعلام الفضائي والرقمي، وبذلك تم استثماره بشكل مُمنهج بهدف توسيع دائرة الجماهير ليشمل فئات منه كانت في الماضي في حكم المنسي. وبذلك استهدفت من خلال نشر وإفشاء ثقافة الانتماء والولع بالفرق الرياضية، هذه الثقافة التي استُدخلت عبر وسائط إعلامية تُعومل معها من قبل الأسر بشكل عُطلت فيه ملكة النقد والاختيار، مما سمح لها بأن تكتسح كل الأسر على اختلاف وضعياتهم الاجتماعية، لكن بدرجة

متفاوتة على مستوى التأثير. تتجلى هذه الثقافة في ميول الأسرة إلى حب فريق رياضي إلى درجة الهوس خصوصا في جيل الأبناء. ووجه العبث في تفشي مثل هذه الثقافة هو مساهمة الآباء إلى حد كبير في نقل هذه الثقافة المبتذلة إلى أبنائهم، فثقافة الحب والولع بالأندية إلى درجة الهوس، هي ثقافة غير بريئة، حيث سوّقت وروّجت لها الصورة الإعلامية بهدف اكتساحها لجمهور عريض، وهو الجمهور الأسري. وبذلك، فجيل السواد الأعظم من أبناء اليوم لا يعرف من الرياضة سوى الفريق الذي يعشقه بشكل مرضي، فتجده عارفا بتاريخ النادي وبعدد الألقاب وبأسماء اللاعبين أكثر من المشرفين على النادي.

إن هذا الحب المرضي يؤدي بالنتيجة إلى التعصب. وبذلك، صارت مثل هذه الأسر بمثابة المعمل الرئيس لإنتاج المزيد من التعصب الذي يفضي بالضرورة إلى الشغب حيث الملاعب مسرحا لها.

إذن، فالحاصل أن ثقافة اللاتسامح المتفشية في الملاعب، للأسرة دور فيها، بحكم أن جزئية ثقافية، تتعاقبها الأجيال، وتورث كما يورث المتاع، ومن نتائج التعصب الحاصل فيها، مزيدا من العنف والشغب. مع العلم أن هذا التعصب وجد طريقه بيسر وبدون تكلف إلى فكر وشعور وسلوك أغلب الأسر، خاصة الشعبية، وهذا راجع لعاملين اثنين:

– عاملٌ ساهم فيه الإعلام الذي أفشى ثقافة استهلاكية مبتذلة حول الحب والولاء للأندية، بالإضافة إلى استمرار تدفقه الدائم على المتلقي في شكل صور إعلامية جذابة عطّلت معها ملكات الفهم والنقد عند هذا الجسم الأسري.

– عاملٌ تعكسه الشروط التعليمية والاجتماعية والاقتصادية للأسرة، إذ الهاجس الرئيس لدى هذا الصنف الاجتماعي من الأسر، هو سعيه المستمر وبدون توقف نحو لقمة العيش، أمّا إعماله للعقل وللنقد فيما خاصّ الثقافة الرياضية الوافدة عبر الإعلام، فهذا يُعدّ عنده عبثا ومضيعة للوقت.

فالأسرة مُطالبة بحكم واجب التربية أن تسعى إلى غرس قيم الاحترام والقبول بحق الاختيار في الانتماءات دون هوس ولا تعصب، وعلى النحو الذي يسمح بتعزيز مبدأ التسامح. فعلى الأسرة أن تكون على قدر هذه المسؤولية الأخلاقية.

ب– دور المدرسة في تعزيز ثقافة التسامح الرياضي

إن فضاء الرياضة المدرسية، هو فضاء المدرسة، وبذلك، فمن الطبيعي أن تكون الأهداف العامة المتوخاة من هذا المجال الرياضي، هي أهداف تربوية في المقام الأول، فثقافة قيم المواطنة وقيم الاحترام وقيم الاعتراف وقيم التعايش وقيم التسامح، هي القيم المستهدفة في الدرس البدني والرياضي داخل فضاءات المؤسسات التعليمية.

من هنا يمكن أن نتساءل، هل هناك حقا ثقافة رياضية تُنتجها المدرسة أم أن هذه الأخيرة أخفقت في كسب هذا الرهان كإخفاقها في العمل التعليمي برمته، خاصة في دول الجنوب؟ وما نصاب ثقافة التسامح في الأهداف التربوية للدرس الرياضي؟ إن مادة التربية الرياضية في فلسفة التربية والتعليم تُقدم نفسها كمادة تعليمية، وهي بذلك شأنها شأن أيّ مادة تعليمية أخرى، لها مهامين اثنين: مهام تربوية ومهام تعليمية. مهمتها التربوية تتمثل في غرس قيم رياضية مدارها حول المواطنة والاعتراف والتعايش والاختلاف والتسامح. أمّا مهمتها التعليمية تتجلى في اكتساب المتعلم للقواعد الأساسية من ثقافة الممارسة الرياضية بما يُنمّي إمكانيته البدنية والحركية، بالإضافة إلى تنقيبها باستمرار عن من يملك الموهبة الرياضية من المتعلمات والمتعلمين بهدف إرشادهم إلى الأندية قصد الصقل والاحتراف. والتفعيل العملي لهذه المهام الخاصة بمادة التربية البدينة والرياضية ينتج عنها بالضرورة ما يسمّى بالثقافة الرياضية المدرسية، لكن الحاصل في واقع الرياضة المدرسية أن تُعومل معها بحسبانها حصة للترفيه وللتسلية، مع العلم أن هذا الجانب حاصلٌ بالتّبع في حصص مادة التربية الرياضية، لكن أن يتحول إلى هدف وحيد ورئيس، فالأمر يُعدُّ انحرافا عن فلسفة مادة التربية الرياضية المحددة في المناهج التربوية والتعليمية الرسمية. وبذلك، فالقراءة السليمة لهذا الواقع تقول، أن الرياضة المدرسية على مستوى التشريع التربوي والتعليمي هي لتحقيق المهام التربوية والتعليمية السالفة الذكر، لكن على مستوى الفعل التعليمي، فالممارسة الظاهرة في العملية التعليمية لمادة التربية الرياضية، هو أنها مادة للتسلية والترفيه. وهذا الاعتقاد الفاسد أضحى ثقافة أفقية تملّكت الجسم التربوي كله. بل الأدهى أن بدأت هذه الثقافة تتسلّل بيُسر إلى مدرسات ومدرسي التربية الرياضية، هذا التسلّل يتمظهر في إخفاق هذه المادة التعليمية على مدى عقود في إنتاج ثقافة رياضية في مُكنها أن تجعل من قيم التسامح والاحترام والاعتراف سلوكيات لها امتدادات مستمرة في حياة المتعلم. وهذا الإخفاق، هو جزء من الإخفاق العام للمؤسسة التعليمية في مناطق دول الجنوب.

فلا بد من إعادة تأهيل الثقافة الرياضية المدرسية فكرا وممارسة على النحو الذي يسمح بتأهيل المتعلم في اكتساب وإنتاج مزيد من ثقافة التسامح باعتبارها عاملا من عوامل التنمية الإنسانية.

وهذا لن يتحقق إلا من خلال تفعيل الإجراءات التالية:

- انفتاح مراكز البحث التربوي والتعليمي على المسألة القيمية باعتبارها القلب النابض للثقافة الرياضية المدرسية.
- فتح ورشات بحثية محلية وإقليمية للاشتغال على الثقافة الرياضية المدرسية.
- الانفتاح على التجارب الأجنبية الرائدة التي حققت نهضة في مجال الثقافة الرياضية المدرسية.

– ربط وتعزيز الصلة بين كل من المدرسة والأندية الرياضية على أساس مشاريع ثقافية ورياضية.

– بلورة خلايا تربوية تُعنى بتتبع وتقييم الثقافة الرياضية المدرسية من خلال متابعتها المستمرة لحركتها في فترات التمدرس بكل أسلاكه التعليمية وفي فترة ما بعد التمدرس.

– العمل على تجديد فكر الثقافة الرياضية المدرسية لدى كل مكونات الجسم التربوي.

– إعداد دورات تدريبية دورية لمدرسات ومدرسي مادة التربية البدنية والرياضية لتعزيز ثقافة الرياضة المدرسية.

– انفتاح المدرسة على آباء وأمهات المتعلمين من خلال تنظيم ورشات ثقافية ورياضية لتعزيز القيم، وعلى رأسها قيمة التسامح.

– انفتاح المدرسة على جمعيات مشجعي الفرق من خلال تنظيم ورشات ثقافية تهدف إلى تعزيز ثقافة التسامح.

إن جملة هذه الإجراءات تعتبر أساسية للإقلاع بالثقافة الرياضية المدرسية نحو التنمية والتقدم، لأنها بمثابة التربة الخصبة الأساس لغرس قيم إنسانية راقية كالتسامح حتى لا يقع المتعلم ضحية للثقافة الرياضية المبتذلة السائدة بين أوساط أغلب جماهير اليوم.

خاتمة

تعتبر الرياضة ملتقى الثقافات، وبذلك فالحاجة إلى التعايش فيما بينها جنبا إلى جنب تُعد مسألة ضرورية، وتحققه أمر قائم من خلال توسل مبدأ التسامح، فهو الضامن لنبذ ثقافة التعصب. فالتنوع في اللغة والجنس والعادات والقيم والانتماءات، هي تجليات حاصلة في الثقافة، وهو أمر طبيعي بحكم أن الثقافة من طبيعتها الاختلاف والتعدد. لكن هذا التعدد في الميولات والانتماءات للأندية الرياضية مُطالب بأن يتعايش في مناخ يسوده الاحترام والاعتراف والتسامح، وبالتالي: ضمان تحقيق الأمن والسلام لكل الجماهير، وإن كان من تلك الجماهير بضع أفراد يشكلون قلة أمام حضور قوي لجماهير الفريق المنافس، لأن مبدأ الحماية ليس مبناهُ على الكثرة، بل مبناهُ على التسامح. فهو القادر على تقريب المسافات بين الانتماءات المختلفة، وعلى نسف التعصب. فالانتماء للنادي خاصٌّ بصاحبه، وهو حر في اختياره، وفي الإبقاء عليه أو تغييره، ولا يجوز لأحد الاعتراض أو الاستدراك عليه، وهذا الميول والحب للفريق لا يُلغي ميول وحب الطرف المنافس. وتلك خصائص التسامح، فهو اعتراف متبادل بين طرفين متباينين في الانتماء والتشجيع، لكنه تباين لا يُلغي الآخر، بل يحتفي معه في تقدير الخلق والإنجاز، وتلك هي الدائرة الجامعة لكل الجماهير، دائرة التوافق حول تشجيع الجمال والإبداع الحاصل في الملاعب. فإفشاء

ثقافة التسامح هي من بإمكانها أن تُقصي وتُبعد ثقافة التعصب باعتبار الأذواق والاختيارات فيها أمر منبوذ، لأن التعصب لا يؤمن إلا بالهيمنة والاكتساح لذوق أو اختيار وحيد، ولو اقتضى توسل العنف والشغب.

إن تفشي ثقافة التسامح بين جماهير العالم مسؤولية مشتركة بين أطراف عدة، فهي مسؤولية المنظمات الرياضية من خلال تفعيل مشاريع قيمية تتغيّا تعزيز قيمة التسامح بين الرياضيين. ومسؤولية الإعلام الرياضي من خلال سعيه إلى أنسنة لغته وصوره بما يعزز مبدأ التسامح بين جماهير الرياضة. ومسؤولية المدرسة باعتبار التربية والقيم من مهامها، وأعلى هذه القيم، قيمة التسامح. ومسؤولية الأسرة باعتبارها المسؤولة الأولى عن غرس قيم التسامح بين الأبناء. ومسؤولية جمعيات مشجعي الأندية من خلال تأطير جماهيرها.

المراجع العربية

- ادريس مغاري، "الأخلاق بين المفهوم والممارسة..التربية الرياضية نموذجا"، دار النجاح، المغرب، 2012.
- ادريس مغاري، "القيم الرياضية"، دار أمجد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الأردن، 2017.
- التسامح بين شرق وغرب: "دراسات في التعايش والقبول بالآخر"، ترجمة إبراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، 1992.
- فولتير، "رسالة في التسامح"، ترجمة هنريت عبودي، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، 2009.
- جان جاك روسو، "نظرية العقد الاجتماعي"، ترجمة حسن سعفان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995.

المراجع الأجنبية

- Hans-Georg Gadamer, «Vérité et Méthode: Les grandes lignes d'une herméneutique philosophique», (Paris: Editions du Seuil), 1996.
- Jürgen Habermas , «Intolerance and discrimination», International Journal of Constitutional Law , vol, no, 2003.
- Gilles lipovetsky, «le crépuscule de devoir», l'éthique indolore des nouveaux temps démocratiques, Edition Gallinard, 1992.
- Alain Etchegoyen, «la valse des éthiques», Edition, François Bourin Paris 1991.
- Lalande, a: "vocabulaire technique et critique de la philosophie universitaires de François", paris.
- Baillet Dominique G. «Les Grands thèmes de la sociologie du sport» Paris : L'Harmattan, 2002.
- Comité International Olympique, «Charte Olympique», Septembre 2013, Réalisation : DidWeDo S.à.r.l., Lausanne, Suisse.
- Organisation des Nations Unies pour l'Education, la Science et la Culture, « la Charte Internationale de l'Education Physique et Sport 1978», Unesco.

الدكتور ادريس مغاري

- مؤسس أكاديمية فكر للبحث والاستشارات الرياضية
- أستاذ ومدرب التربية البدنية والرياضة بوزارة التربية والتعليم العالي بالمغرب .
- عضو رئيسي بمجلس جائزة دراسا لعلوم الرياضة المتواجدة بدبي بالإمارات العربية المتحدة.
- عضو لجنة التحكيم العلمي للملتقى الدولي الثالث في موضوع: "التدريب الرياضي بين برامج التكوين والتحولات الميدانية" المنظم من طرف جامعة العربي بن مهيدي–أم البواقي– معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بالجزائر.
- حائز على جائزة دراسا لعلوم الرياضة بدبي لأفضل إنتاج فكري رياضي من خلال مشاركتي بكتابي تحت عنوان: "الأخلاق بين المفهوم والممارسة..التربية البدنية والرياضة نموذجا."
- شهادة الاستحقاق مخولة من طرف أكاديمية دراسا لعلوم الرياضة بدبي.
- إعداد مشروع وطني لفائدة وزارة التربية الوطنية بالمغرب، يسعى إلى غرس القيم الرياضية من خلال مادة التربية البدنية والرياضة.
- خبير في الدراسات القيمية للمنظمات الرياضية بمكتب الدراسات لهندسة التربية والتكوين ECLISS.
- عضو الاتحاد الوطني لمدربي كرة القدم.

الإصدارات العلمية

- ادريس، مغاري، "الأخلاق بين المفهوم والممارسة..التربية البدنية والرياضة نموذجا"، دار النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2012.
- ادريس مغاري، ""نقد الفكر الرياضي"، دراسة نقدية ميدانية للفكر الرياضي العربي، شملت 14 دولة عربية، دار الفكر العربي، مصر، 2016.
- ادريس، مغاري، "القيم الرياضية"، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، 2017.